الفصل الثانى

سعد زغلول والمدرسة

بعد أن تولى سعد زغلول نظارة المعارف فى ٢٨ اكتوبر ١٩٥٦ أولى هذه المدرسة جل اهتمامه بالنظر لكونها المدرسة التى تعد المعلمين لتربية ابناء مصر وتعليمهم فحاول تمصيرها ادارة ومنهجا وادخال بعض المواد الجديدة بها ومن أجل ذاك دخل فى صراع عنيف مع سياسة الاحتلال التعليمية التى يمثلها دنلوب ونجح فى اثبات كفاءة المصريين لتولى المناصب العامة فى بلادهم بتعيين اسماعيل بك حسنين [1] ناظرا للمدرسة بدلا من ناظرها الانجليزى المستر « ديلينى » ، وفى تعيين وكلاء هذه المدرسة بصفة دائمة من المصريين .

كما نجح فى احلال اللغة العربية محل الانجليزية كلغة للدراسة مستغلا فى ذلك ما احدثته حادثة دنشواى من الآلام للمصريين واضطرار سلطات الاحتلال الى الاستجابة لبعض المطالب الوطنية ومنها تعريب التعليم فى المدارس .

والى جانب ذلك فقد نجح فى ادخال العديد من التعديلات الهامة على نظام الدراسة بالمدرسة ، وعلى مناهجها الدراسية فمن اجل ترغيب الطلاب فى الالتحاق بهذه المدرسة على غيرها من المدارس رأى أن تقتصر مدة الدراسة بها الى ثلاث سنوات بدلا من أربع كما رأى حذف اللغة

---

(١) كان من أوائل خريجى هذه المدرسة الذين سافروا فى بعثة الى الخارج حيث أتم دراسته بمدرسة المعلمين بسان كلو بفرنسا ، ونجح بتفوق فى العلوم الطبيعية ، وحصل على شهادة التدريس ، وعند عودته الى مصر عين مدرسا ثم تدرج فى مناصب التدريس حتى وصل الى وكالة نظارة المعارف .

انظر : متحف التعليم : البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر ج ٢ سنة ١٩٦٣ ص ٢٥٢ .

الفرنسية الاضافية وتعميم دراسة التاريخ الطبيعى لكل من الفصلين الأدبى والعلمى [٢] على ان يتم تدريسها باللغة العربية .

وحول موقف الانجليز من ذلك يذكر سعد زغلول أنه بالرغم معارضة دنلوب ادخال مادة التاريخ الطبيعى ضمن المناهج الدراسية بالمدرسة بحجة عدم وجود المتخصصين لتدريس هذه المادة فانه تغلب على هذه المشكلة بتعيين ميخائيل افندى فرج [٣] مدرس الرياضيات باحدى المدارس الثانوية لتدريس التاريخ الطبيعى باللغة العربية ، ولما اعترض المستشار على ذلك لعدم تخصص ميخائيل افندى فى هذه المادة أوضح له سعد ضرورة وضعه تحت التجربة فاذعن لذلك [٤] .

أما عن موقف الانجليز من احلال سعد للغة العربية محل الانجليزية كلغة الدراسة بالمدرسة فقد رأى دنلوب ان المحافظة على سياسته فى نجلزه التعليم وابعاد المصريين عن وظائف بلادهم تأتى عن طريق فتح أبواب مدرسة المعلمين لكل انجليزى من معاهى المدارس يريد تعلم اللغة العربية » [٥] وان يشكل من هؤلاء مجموعة تقوم بالتدريس للطلبة باللغة العربية .

وعلى الرغم من موافقة سعد زغلول على انشاء وظيفتين لأستاذين مصريين لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من المعلمين الاوربيين بالمدرسة [٦] فانه رأى عدم تحميل المدرسة ما هو فوق طاقتها وقصر

---

(٢) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٧١٥ .

(٣) تخرج من المعلمين التوفيقية فى عام ١٨٨٩ ، وسافر الى فرنسا والتحق بمدرسة النورمال وحصل على دبلوم مدرس عام ١٨٩٢ .
انظر : متحف التعليم : البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر ص ١٦٧ .

(٤) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٦٦٦ — ٦٦٨ .

(٥) نفسه ج ٢ ص ٦٦٤ .

(٦) نفسه ج ١ ص ٥٣٢ — ٥٣٧ .

والجدير بالذكر ان جريدة اللواء كانت قد انتقدت سعد زغلول على تخصيصه هاتين الوظيفتين ، وكان رده على ذلك قوله « الأولى أن يستخفت الانسان بهذه السفاسف ، وان يقوم بما يراه هو الواجب عليه » .

الالتحاق بها على من يعرف اللغة العربية من الانجليز ويريد الاستزادة منها فقط . ونتيجة لتمسك سعد زغلول برأيه قرر الانجليز الابتعاد عن مدرسة المعلمين وتأسيس مدرسة جديدة بالاسكندرية لتدريس اللغة العربية للمعلمين الانجليز (٧) .

يضاف الى ذلك انه خلال نظارة سعد تم تقسيم المدرسة الى قسمين مدرسة عالية ويدخلها حملة البكالوريا (الثانوية) لاعدادهم للتدريس بالمدارس على اختلاف درجاتها وأخرى ثانوية لحملة الشهادة الابتدائية لاعدادهم للتدريس بالمدارس الابتدائية فقط . وبالنسبة للمدرسة الأولى فقد انقسم التعليم فيها الى قسمين القسم الأدبى لتخريج مدرسين للمواد الأدبية واللغة الانجليزية ، والقسم العلمى لتخريج مدرسين للرياضيات والعلوم (٨) كما اقتصر كل قسم على العلوم الخاصة به (٩) .

فدرس طلاب القسم الأدبى اللغة العربية واللغة الانجليزية والترجمة والتاريخ الطبيعى وأصول التربية وعلم النفس والمنطق وقانون الصحة ودروس النقد والتاريخ والجغرافيا والرسم .

أما طلاب القسم العلمى فدرسوا اللغة الانجليزية والترجمة والرياضيات والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعى وأصول التربية وعلم النفس والمنطق وقانون الصحة ودروس النقد كما اتفق على أن يقوم طلاب السنة الثالثة بالتمرين على التدريس بمدارس النظارة مدة أسبوعين على ان يكونوا تحت مراقبة بعض أساتذتهم وناظر المدرسة التى يتمرن بها الطلبة (١٠) .

والشىء اللافت للنظر أن اللغة العربية لم تدرس لطلاب القسم

---

(٧) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٦٦٦ .

(٨) دار الوثائق القومية : محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة المعارف محفظة رقم ١٤/١/ب بعنوان مدارس المعلمين قوانين ولوائح قانون مدرسة المعلمين الخديوية .

(٩) مذكرات سعد زغلول ج ٢ ص ٦٦٦ .

(١٠) محفوظات مجلس الوزراء نظارة المعارف ، المحفظة سابقة الذكر وثيقة بعنوان قانون مدرسة المعلمين الخديوية .

العلمى كنظرائهم بالقسم الادبى مع أن اللغة الانجليزية كانت تدرس فى القسمين وان عدد ساعات اللغة الانجليزية والترجمة كانت تزيد على ساعات اللغة العربية الاسبوعية بالقسم الأدبى ست ساعات (١١) .

أما عن الدروس التربوية فقد تساوى عدد ساعاتها فى القسمين الادبى والعلمى (١٢) .

وعند مقارنة المواد المقررة على طلبة المدرسة بالمواد المقررة بالمدارس المعاصرة لها مثل مدرسة القضاء الشرعى (١٣) ومدرسة دار العلوم (١٤) فيتضح ان الفرق ليس بكبير فى الأولى وان كانت المواد التربوية قد اختصت بها مدرسة المعلمين دون غيرها كما ان المواد القانونية ونظام القضاء والادارة قد انفردت بها مدرسة القضاء الشرعى وحدها . أما عن المواد العصرية مثل الرياضيات والطبيعة والكيمياء والتاريخ والجغرافيا فقد تقررت على كل من المدرستين وان كان المسئولون عن المناهج فى مدرسة القضاء الذين لم يفلتوا من الانتقادات المريرة من الازهريين قد تحايلوا على مسميات بعض هذه المواد حتى لا يتم الاعتراض عليها ووضعوا الطبيعة والكيمياء تحت عنوان « الخواص التى أودعها الله تعالى فى الأجسام » (١٥) ووضعوا الجغرافيا تحت عنوان « تقويم البلدان » .

أما اذا قارنا هذه المواد بما كان يدرس فى دار العلوم فيتضح انه على الرغم من نجاح هذه الدار فى تجديد علوم اللغة العربية واصلاحها والملاءمة

---

(١١) كان عدد ساعات اللغة العربية بالقسم الادبى خمس والانجليزية والترجمة احدى عشرة .

(١٢) انظر قانون المدرسة بالملحق رقم (١) المرفق .

(١٣) التفاصيل انظر كتابنا مدرسة القضاء الشرعى — دراسة تاريخية القاهرة ١٩٨٦ .

(١٤) للتفاصيل انظر محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم ، القاهرة د.ت .

(١٥) حول تفاصيل مفردات هذه المادة انظر :
مدرسة القضاء الشرعى : بروجرام مواد الدراسة ، القاهرة ١٩٠٧ ص ٥٥ .

بينها وبين حاجات الحياة الحديثة الى حد كبير ، وعلى الرغم من أنها أعرضت عن التعمق فى العلوم الاسلامية كما يفعل الأزهريون فانها لم تستطع التعمق فى العلوم المدنية كما فعلت مدرسة المعلمين الخديوية .

وعلى اى حال فان معظم العلوم الحديثة التى دخلت فى مناهج مدرسة المعلمين لم تكن قد دخلت الأزهر بعد خاصة وان رجاله كانوا يرون فى ادخال هذه العلوم ضررا بالثقافة الاسلامية ، أما ما دخل فيه فقد درسه الأزهريون بنفس العقلية القائمة على الاستظهار والافتقاد التام لأى أسلوب نقدى (١٦) .

ونتيجة للجهود التى بذلها سعد زغلول فى تعديل لائحة مدرسة المعلمين وتطوير مناهجها فقد أعرب مجلس شورى القوانين عن شكره لنظارة المعارف على جهودها الواضحة فى تطوير هذه المدرسة التى عليها المعول الأول فى تخريج الأكفاء (١٧) .

هذا عن مناهج المدرسة الدراسية أما عن بعثاتها الى الخارج فقد رأى سعد زغلول أن تقتصر على الخريجين الذين أتموا دراستهم وذلك للاستزادة من بعثتهم بعد أن يكونوا قد وصلوا الى درجة من العلم تساعدهم على النجاح فى المتابعة وليس على الطلاب الذين لم يكتمل

---

(١٦) لم يبدأ الأزهر فى تطوير نفسه الا بعد افتتاح الجامعة المصرية فشرعت له قوانين جديدة تتمشى مع احتياجات النهضة الحديثة وما يحتاجه العالم الاسلامى من مطالب ، وانشئت به كليات جامعية بعد أن وجد أنه ليس من الاخير أن يكون حربا على الحياة الحديثة خاصة وان الاسلام يدعو الى التطور والرقى والطموح الى المثل العليا فى الحياة الروحية والمادية معا ، ومع أن الأزهر قد خلع رداءه العلمى القديم وبدأ فى شكل جامعة ، فانه مازال عليه أن يشق لنفسه طريق الوضوح والاستقرار .

(١٧) مجلس شورى القوانين : جلسة ٢٩ ديسمبر ١٩٠٨ .

استعدادهم بعد لدراسة فى أوربا كما كان متبعا [١٨] وأن يلتحق طلابه هذه البعثات باحدى الجامعات الانجليزية كى يتعلموا فن التعليم ويكونوا قادرين على مزاولة العملية التعليمية بمدارس نظارة المعارف [١٩] .

ومع ان بعض الوطنيين انتقد سعد زغلول لارساله خريجى المدرسة لاستكمال دراستهم ببريطانيا التى تسيطر على مقدرات امورنا ، وتأخذنا بما ترغب لا بما نرغب فان رد سعد عليهم كان صريحا وواضحا حيث قال يلزمنا ان نتعلم على الذين ارتبطت مصالحنا بهم .

واستمر سعد زغلول طوال نظارته للمعارف [٢٠] شديد الاهتمام بهذه المدرسة فزارها اكثر من مرة ، وتابع مستوى طلابها وحول احدى هذه الزيارات أوضح سعد فى مذكراته انه زار هذه المدرسة فى يوم ٢٩ من فبراير عام ١٩٠٨ ووجه لطلابها بعض الاسئلة حول الصفات التى يحبون أن تكون تلامذتهم فى المستقبل عليها فأجاب اغلبهم انهم يحبون أن يكونوا احرارا ففهم أن رؤوسهم مشغولة بالحرية وسمعانيها فالقى عليهم النصائح اللازمة وافهمهم أن يلزموا جانب النظام وان يحبوا أن يكون التلميذ مجتهدا فى دروسه محترما لاستاذه ، ومطيعا لأوامره وأن يكون انسانا بعد خروجه من المدرسة ينفع الناس وينتفع منهم [٢١] . ومعنى ذلك من وجهة نظرنا

---

(١٨) كانت الحكومة تفضل ايفاد من اكملوا الدراسة الابتدائية وهم لا يزالون صغار السن حتى يتزودوا بالدراسات الكلاسيكية قبل التحاقهم بالمعاهد العليا ، ويستطيعوا الوصول بفضل اعدادهم على أيدى المدرسين الأوربيين الى مستوى الشبان المثقفين بأوربا فلا يشعرون بالضعف ، ولا تفتر همتهم عن المنافسة العلمية والافادة من تعليمهم الأولى .

انظر : البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر ج ٢ ص ١٢٣ .

(١٩) مذكرات سعد زغلول ج ٣ ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠ ص ٧٧ .

(٢٠) ترك سعد نظارة المعارف فى ٢٣ فبراير ١٩١٠ .

انظر : وزراء التعليم فى مصر وأبرز انجازاتهم ، القاهرة المركز القومى للبحوث التربوية ١٩٨٠ ص ٥١ .

(٢١) مذكرات سعد زغلول ج ١ ص ٤٦٥ .

أن سعدا قصد بكلامه أن يصور للطلاب أن الحرية لا تتحقق الا بالتربية والانظام وليس الاخلال بالنظام .

وحول منع استخدام الغرب بالمدرسة اوضح سعد زغلول للطلاب أساس هذا المنع وانه اتى من خشية سوء استعمال هذا الاستثناء والخوف من جعله قاعدة ، ومع ذلك فانه يصح أن يباح اذا كان المعلمون جميعا يحسنون استعماله (٢٢) .

وحول الكتب المقررة على طلاب المدرسة ، فقد طالب سعد زغلول باطلاق الحرية للطلبة فى اختيار الكتب الدراسية التى تتعلق والمقررات التى يدرسونها حتى تتسع معلوماتهم وتنطلق حرية البيع والشراء ، ولكن هذه الحرية لم تكن مطلقة فقد تم الغاء كتاب « سكوت » فى التربية لمخالفة ما به لتعاليم الدين الاسلامى وطعنه لاحاسيس المسلمين كما منع تدريس علم الاخلاق لكونه مخالفا الدين (٢٣) .

واستمرت مدرسة المعلمين الخديوية تؤدى واجبها فى تغذية المدارس المصرية بالمعلمين ، ونظرا لازدياد عدد طلاب المدارس الثانوية ، وحاجة البلاد الى خريجى القسم العالى بالمدرسة للعمل فى مدارس الحكومة تزايدت الأصوات بطلب توسيع نطاق هذه المدرسة ، ونتيجة لذلك أمر الخديوى عباس الثانى بالغاء القسم الابتدائى بالمدرسة والاستعاضة عن فصوله تدريجيا بفصول للقسم العالى بحيث يستعاض عن كل فصل يلغى من القسم الابتدائى بفصل على الأقل مقابل له فى القسم العالى .

وقد بدأ هذا التعديل تدريجيا ابتداء من السنة الدراسية ١٩١١ — ١٩١٢ (٢٤) .

---

(٢٢) مذكرات سعد زغلول ج ١ ص ٤٦٥ .
(٢٣) نفسه ج ٣ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ .
(٢٤) محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة المعارف ، محفظة رقم ١٤/١/ب وثيقة بعنوان قانون بشأن توسيع نطاق مدرسة المعلمين الخديوية العالية .

والى جانب ذلك فقد اقر مجلس المعارف الأعلى [٢٥] بجلسته المنعقدة فى ٢٢ يونيو ١٩١٠ بانشاء فرقة لدراسة علم الآثار المصرية وتاريخ مصر القديم والحاقها بمدرسة المعلمين الخديوية [٢٦] .

ونتيجة للتسهيلات التى قدمتها نظارة المعارف لطلاب هذه المدرسة زاد الاقبال عليها بنسبة كبيرة [٢٧] فاقت قدرة النظارة على استيعابهم للتدريس بمدارسها مما دفع الحكومة الى الحد من هذه الزيادة عن طريق التقليل من المكافئات التى كانت تمنح لطلاب هذه المدرسة فبعد أن كانوا يحصلون على مكافآت تصل الى اربعة جنيهات فضلا عن تعليمهم بالمجان انخفضت تدريجيا حتى وصلت الى جنيه واحد ثم الغيت نهائيا فى عام ١٩١٤ .

---

(٢٥) كان للمعارف مجلس أعلى له الحكم الفصل فى ادارة المعارف العمومية وكان قد صدر الأمر بتشكيله فى ٢٨ مارس ١٨٨١ بحيث يتكون من عشرة أعضاء بما فيهم ناظر المعارف الذى يراس هذا المجلس ، ويكون منفذا لما يقرره الأعضاء بأغلبية الآراء ، وقد أعيد تشكيل هذا المجلس فى ٢٩ ديسمبر ١٩٠٦ .

(٢٦) يرجع الفضل فى انشاء هذه الفرقة الى العالم الاثرى أحمد كمال باشا وكان ضمن طلابها أحمد عبد الوهاب باشا ، وسليم حسن بك .

(٢٧) زاد عدد الطلاب من ٣٢ طالبا فى العام الدراسى ١٩٠٦ — ١٩٠٧ الى ٤٦ طالبا فى العام الدراسى ١٩٠٨ — ١٩٠٩ ثم تدرجت الزيادة حتى وصلت الـ ٢٣٥ طالبا فى العام الدراسى ١٩١٣ — ١٩١٤ .

للتفاصيل انظر : محفوظات مجلس الوزراء ، نظارة المعارف محفظة رقم ١٤/١/ب بعنوان مدارس المعلمين لوائح وقوانين .